العمارة الهلنستية في الأردن

بحث مقدم

للمؤتمر الدولي الثاني حول التبادل الحضاري بين

شعوب البحر المتوسط الإسكندر والإسكندرية

الدكتور

زيدون المحيسن

استاذ مشارك – جامعة البيت

المفرق – الأردن

تبدأ الفترة الهلنستية في الأردن، باحتلال الإغريق على يد الإسكندر الكبير للمنطقة، والذي أنهى السيطرة الفارسية عام ٣٣٢ قبل الميلاد[١]. وبإخضاعه للإمبراطورية الفارسية، نصب الإسكندر حاكماً للعالم، وأصبح الغرب مهيمناً على الشرق. وسهل هذا الإخضاع انتشار الثقافة الإغريقية في الشرق، فأصبحت اللغة اليونانية اللغة الرسمية في أرجاء الإمبراطورية، ولغة التجارة والثقافة ولغة الدين[٢]. وبوفاة الإسكندر الكبير قسمت المنطقة بين البطالمة والسلوقيين. فسيطر البطالمة في الفترة ما بين عام ٣٠١ -١٩٨ قبل الميلاد على جنوب سوريا والأردن وفلسطين ومصر. أما السلوقيون فحكموا المناطق الآسيوية المتبقية[٣]. ويعاصر هذه الفترة ظهور الأنباط كقوة مستقلة، يقيت محافظة على استقلالها ونشاطها التجاري المنطلق من عاصمتهم البتراء، رغم مهاجمتهم عام ٣١٢ قبل الميلاد من قبل (انتيقونس Antigonos)[٤].

وزالت السيطرة البطلمية عن الأردن في حوالي عام ٢٠٠ – ١٩٨ قبل الميلاد، بعد هزيمة بطليموس الخامس في معركة (بانيون Panion)، بقيادة أنطوخيوس الثالث وهو تاريخ تدشين العهد الهلنستي المتأخر. وبهذا سيطر السلوقيون على الأردن، في حين نالت بعض المدن استقلالها في جنوب بلاد الشام[٥]. فتمكنت سلالة طوبيا من المحافظة على استقلالها في حين خضع إقليم عمان إلى سيطرة (جوداس ماكابوس Judas Maccabeus)[٦].

الشواهد التاريخية المتعلقة بهذه الفترة، جاءت من المؤرخ (يوسيفيوس Josephus) والوثائق التاريخية اليونانية، التي احتوت على

معلومات تاريخية عن المنطقة، فى فترة حكم البطالمة فى القرن الثالث قبل الميلاد[٧]. وكذلك من المؤرخ (بوليبوس Polybius) الذى تحدث عن العديد من المدن والأقاليم فى الأردن، أو سجلات (زينون Zenon)، و(سترابو Strabo) والمؤرخ (اقثاركيدس Agatharchides) الذى أشار بأن خلفاء الإسكندر أخذوا بالتنازع على الممالك وكانت النتيجة نشوب العديد من الحروب[٨].

تقسم الفترة الهلنستية بدورها إلى الهلنستى المبكر، والهلنستى المتأخر، أو ما يطلق عليها فترة البطالمة، وفترة السلوقيين والحشمونيين[٩]. هذا التقسيم انتهجه (لاب Lapp) وقسمه إلى الهلنستى المبكر (البطالمة) من عام من ٣٢٠-١٩٨ قبل الميلاد، والهلنستى المتأخر (السلوقيون) من عام ١٩٨-١٦٥ قبل الميلاد، والحشمونية المبكرة من عام ١٦٥ - ١٠٠ قبل الميلاد، والحشمونية المتأخرة من عام ١٠٠-٦٣ قبل الميلاد[١٠].

انتهت الفترة الهلنستية فى الأردن عام ٦٤-٦٣ قبل الميلاد، على يد القائد الرومانى بومبى، نتيجة لانقسام المملكة السلوقية وانشغالها بالصراعات الداخلية[١١].

مواقع الفترة الهلنستية:

تتميز المعلومات الأثرية عن الفترة الهلنستية المبكرة، بكونها قليلة فى الأردن بينما تأخذ المعلومات بالإطراد فى الفترة المتأخرة. والسبب يرجع من الناحية التاريخية إلى الحروب والمشاكل، التى كانت قائمة بين البطالمة والسلوقيين بعد موقت الإسكندر الكبير[١٢].

تمثلت مواقع هذه الفترة فى الأردن (خارطة رقم ١) فى البتراء وعراق الأمير[١٣]، وتل السعيدية الطبقة الثانية[١٤] وفى جبل (سرطبة Sartabe) على بعد ٢,٢ كيلومترا إلى الجنوب الشرقى من طبقة فحل[١٥]، وفى أم قيس، وجرش، وعمان، واليصيلة، وقويلبه، وتل الذهب، وحسبان، وتل الخليفة، وتل المزار والعديد من المواقع التى تم الكشف عنها أثناء المسوحات الأثرية فى وادى الأردن، مثل أبو علوية، وتل أبو كامل، وتل عماتا، وتل أبو هابيل، وخربة الحمة، وتل الاربعين وغيرها من المواقع[١٦] .

ومن أبرز المواقع الأثرية التى تمثل الفترة الهلنستية فى الأردن :-

البتراء:

تقع البتراء فى المناطق الجنوبية من الأردن على بعد حوالى ٢٥٠ كيلومتر جنوب العاصمة عمان، وتبعد حوالى ١٢٠ كيلومتر شمال العقبة. ويستطيع المسافر إلى مدينة البتراء الوصول إليها عن طريق مجموعة من الطرق المعبدة كالشوبك وادى موسى البتراء، أو طريق معان أتزرع وادى موسى، أو معان البسطة وادى موسى، أو معان الطيبة وادى موسى. وكل هذه الطرق تؤدى إلى بلدة وادى موسى ومن ثم إلى البتراء.

بقيت البتراء طى الكتمان منذ أن زارها السلطان بيبرس، فى ما بين الأعوام ١٢٦٠ ميلادى إلى ١٢٧٧ ميلادى، وتحدث العالم العربى النويرى عن زيارة بيبرس للبتراء، وأعطى بعض المعلومات المهمة عن البتراء، ووصف بعض مناطقها المختلفة، ولم يستطع النويرى أن يذكر لنا اسم البتراء بل سماها بجبل بدر.

أعيد اكتشاف البتراء في عام ١٨١٢ من قبل الرحالة السويسري بيركهارت (John L. Burckhardt) ، وتعرف على آثار المدينة القديمة، وارجعها إلى الفترة النبطية، ومن الباحثين اللاحقين ايربي ومانغليس (Irby & Mangles) اللذان زارا البتراء سنة ١٨١٨. وفي عام ١٨٣٩ زارها الرسام (David Roberts) عندما كان يقوم برحلاته في مصر والأراضي المقدسة، وقام برسم لوحات دقيقة للبتراء.

إن أول من قام بتسجيل ونشر الواجهات المعمارية في البتراء، كانا برونوف وفون دوماسيفسكي (Brunnow and Domaszeski) عندما زارا الموقع سنة ١٨٩٨. فقد قام بتسجيل حوالي ٨٥٠ واجهة منحوته ونقوش، ووضعوا نظام ترقيم للقبور يعتمد على مواقعها، ولا يزال هذا النظام مستعملا حتى اليوم. وقد ضم بحثهم صور ورسومات للواجهات. إلا أنها لا تحتوي على الزخارف الدقيقة، ما عدا زخارف الخزنة، كما أن هذه الواجهات لم تحتو على مقاييس لأبعادها. ثم جاء موزيل (Musil) واعد رسومات أخرى، وبعده قام دالمان (Dalman) برسم ونشر الواجهات المعمارية للخزنة، وسجل بقية الواجهات. وبالإضافة إلى هؤلاء، دون باخمان وويغاند (Wiegand and Bachmann) المباني المبنية من الحجر، وخاصة تلك التي تقع بالقرب من شارع الأعمدة. كما قام بنشر معبد قصر البنت الباحث كول (Kohl)، وفيما بعد الباحث رايت (Wright)، الذي قام أيضا بنشر المعلومات عن ساحة المعبد.

بدأت الحفريات في البتراء سنة ١٩٢٩، عندما قام جورج هورسفيلد

وزوجته (George and Agnes Horsfield)، بالتنقيب فى منطقة الكاتوته. وبين سنة ١٩٢٤ - ١٩٣٦، قام البرايت (Albright) بعدة حفريات، منها فى منطقة الخزنة، وقبر الجره، وقبر الجندى الرومانى. وقام بار (Peter Parr) فى سنة ١٩٥٤، بالإشراف على أعمال الترميم فى مركز المدينة، تبعه همموند (Hammond) فى السنة التالية، والذى تتركز تنقيباته فى منطقة المدرج، ومنطقة معبد الأسود المجنحة، الذى ما تزال مستمرة حتى اليوم.

كما قامت دائرة الآثار العامة منذ تأسيسها بعمل الحفريات وأعمال الصيانة للبتراء، بإشراف فوزى زيادين على بعض هذه الأعمال، كما قام زيدون المحيسن بعمل دراسات لهندسة الرى والزراعة النبطية فى البتراء وفى المواقع النبطية الأخرى، كما أشرف على عدة حفريات فى المنطقة. وقامت دومنيك تاريبة بمجموعة دراسات عن البتراء، وخاصة ما يتعلق منها بالمضافات النبطية والعادات والديانة النبطية، كما قام نبيل الخيرى بالتنقيب فى المنطقة الجنوبية لمعبد قصر البنت. وتقوم فى الوقت الحاضر بعض المؤسسات الفرنسية، والألمانية، والأمريكية، والسويسرية، ببعض الدراسات والتنقيبات الأثرية.

كانت البتراء أكثر من مجرد مدينة للقوافل التجارية، فقد كانت أيضا مركزاً لمنطقة زراعية وقد عمل الأنباط على استغلال الأراضى فى هذه المنطقة من أجل تلبية الاحتياجات المتزايدة للسكان[١٧].

بالنسبة لسيطرة الأنباط على البيئة، تظهر من خلال سيطرتهم على المياه والزراعة، فقد كان الأنباط بارعين فى الزراعة، وقد واجهوا حالتين

والتى كان من الممكن أن تعطل أى عملية زراعية وإنتاج، وذلك لأن معظم الأراضى المتوفرة كانت غير صالحة للزراعة، وكذلك قلة الأمطار، ومن الصحيح أنه فى البداية كانت عمليات الزراعة والفلاحة قليلة، ولكنهم عملوا على تطويرها وتقدمها، وأصبحت من أهم النشاطات من أجل الحصول على طعامهم، وهذا يمثل أهمية الزراعة بالنسبة لوجود الأنباط، وهنا نجد أن الأنباط قد سيطروا على البيئة وحاولوا الاستفادة منها، حيث عملوا على حفر القنوات والسدود وخزانات المياه، من أجل الحفاظ على المياه القليلة وإيصالها إلى وسط المدينة وأيضا تزويد القوافل التجارية بالمياه، وقام الأنباط بالسيطرة على الأراضى الصحراوية، وعملوا على تزويدها بالمياه، وتحويلها إلى أراضٍ زراعية من أجل تأمين الغذاء للسكان.

إن المهندس والمعمارى والنحات فى البتراء وفى مدائن صالح، قاموا بالبناء فى الصخر القاسى، وحاولوا التكيف مع البيئة المحيطة به وقد نجحوا فى ذلك(١٨) .

والناظر إلى مدينة البتراء، يستطيع رؤية الأعمال الفنية المميزة التى قام بها الفنان النبطى، فهناك العديد من المبانى المنحوتة فى الصخر، وهنالك أيضاً القبور التى يظهر عليها التأثير الأشورى والمصرى واليونانى.

واستطاع الأنباط التغلب على البيئة الجغرافية، أثناء تخطيطهم لمدينتهم وبنائها، وحاولوا أن يتأقلموا معها ويرعوا فى ذلك، وتميزت عاصمتهم بعمارتها ونحتها وفنونها، التى نافست فيها جميع المدن والعواصم القديمة.

استخدم الأنباط نمطين فى البناء فى مدينة البتراء، النمط الأول تمثل باستعمال الحجارة المشذبة وبينها البلاط، كالموجود فى معبد الأسود المجنحة ومعبد قصر البنت[١٩] . قد بنى المعماريون أعمدة هذه المبانى من قطع إسطوانية حجرية[٢٠] ، كما استخدموا تقنيات مختلفة فى البناء، منها طريقة وضع الأخشاب بين مداميك الحجارة فى معبد قصر البنت[٢١] .

أما النمط الآخر والمتميز فى أبنية الأنباط، فهو الذى استخدمت فيه الأساليب والتقنيات لإنشاء المبانى المنحوتة فى الصخر الطبيعى. فقد طور الأنباط هذه الأساليب والمهارات إلى أرقى المستويات. فكانوا يبدأون العمل بتسوية سطح الصخرة التى تم اختيارها لتصبح واجهة معمارية، ثم يقومون بالنحت من الأعلى إلى الأسفل مستغلين ألوان الصخر الطبيعية[٢٢]. ومما يساعدنا على فهم طرق نحت الواجهات والغرف، هو دراسة واجهة «القبر غير كامل البناء» (Unfinished Tomb) الذى لم يتم فيه سوى نحت القسم العلوى من الواجهة الصخرية[٢٣]. وهناك خطوط عامودية مستقيمة على واجهة «الخزنة»، مكونة من مربعات صغيرة ربما استعملت من أجل تثبيت الرافعات إلى أعلى وأسفل الواجهة أثناء عملية النحت.

إن موقع مدينة البتراء الجغرافى، جاء ليسيطر على الطرق التجارية الهامة، القادمة من شبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال (سوريا)، أو الاتجاه الغربى (غزة) وشواطئ البحر الأبيض المتوسط (خارطة رقم ٢). ولعل هذه ميزة هامة اقتضتها الطبيعة الجغرافية. أما الناحية الإستراتيجية فإن الموانع الصخرية زودت الموقع بهذه الصفة، لهذا نجد أنه من الصعب دخول

مدينة البتراء، وحتى لو كان ذلك سيراً على الأقدام، ولعل هذه الصفة أو القوة الإستراتيجية من أهم العوامل الرئيسية المطلوبة لنشوء المدينة، وبالذات مدينة البتراء التي عاصرت قوى متناحرة ومتحاربة، كالمكابيين والعمونيين والمؤابيين إضافة لليونان. ولهذه الأسباب اختار الأنباط سكن هذا الموقع لميزاته الجغرافية والإستراتيجية والاقتصادية، علماً بأن وادى عربة يقع غرب المدينة ويفصلها عن فلسطين، ولا مدخل للمدينة سوى منطقة السيق[٢٤] .

لعبت طوبوغرافية المنطقة دوراً هاماً ورئيساً، في شتى الميادين المختلفة في البتراء حيث تحيط بالمدينة العديد من مواقع الضواحي التي من أهمها المركز الرئيسي وهي بلدة وادى موسى التي كانت تسمى بجياء التي اشتهرت بينابيعها الكثيرة التي كانت تزود البتراء بالمياه، وكذلك كانت تزود بساتين الزيتون والعنب والرمان في وادى موسى. وبلدة وادى موسى الحالية مبنية على مجموعات كبيرة من المناطق الأثرية الهامة، التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ مدينة البتراء خاصة وتاريخ الأنباط بشكل عام، وقد تعرضت معظم آثار هذه البلدة للعبث والدمار بسبب انتشار المدينة الحديثة فوقها، ويمكن للزائر مشاهدة العديد من الجدران، وقنوات المياه، والطواحين المائية في بطن الوادى في البلدة. وهناك الضواحي الأخرى كالسيق البارد، وصبرا، وبراق.

مميزات مدينة البتراء:

تخطيط المدينة:

بدأت البتراء بالنمو تدريجياً ونتيجة لهذا النمو بدأت تظهر تطورات حضارية علي المدينة، ويظهر ذلك من زيارة الأبنية والمنازل. (مخطط رقم ١) ويلاحظ تاثير طبيعة الأرض على طريقة وأسلوب البناء. راعى الأنباط فصل البيوت السكنية عن المقابر، وكانت بدايات السكن والاستقرار فى مركز المدينة، وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد وربما قبل ذلك، ومع تطور المدينة وازدهارها، وبناية الشارع المعمَّد والمبانى العامة فى المركز، زحفت البيوت السكنية خارج حدود الأسوار واختلطت مع القبور القديمة، ويظهر ذلك فى عدة مناطق من المدينة.

ونظراً لتأثر مدن الشرق بالحضارة اليونانية، امتازت البتراء فى القرن الأول قبل الميلاد بالمخطط الهلنستى للمدن، وفى هذا التخطيط أهملت الخطوط المستوية، وكسرت محاور الشوارع الرئيسية، باتجاهات تتفق وطبيعة الموقع، ويظهر فى البتراء مميزات ميزتها كمدينة ذات تخطيط هلنستى :-

١- يكون الشارع الرئيسي عبارة عن شارع معمد عريض يجرى فى الاتجاه الطبيعى للموقع، وهذا ما نلاحظة بالنسبة للشارع المعمد فى البتراء الكاردو (Cardo) حيث يجرى باتجاه مجرى وادى موسى.

٢- إبراز بعض نقاط التقاطع للشوارع الفرعية بالشارع الرئيسى بمظاهر

معمارية كالأقواس، وهذا الحال تجده متمثلاً فى بوابة المدينة (Temenos Gate) .

٣- تحيط بالشارع المعمد من الجانبين أروقة معمدة، وخلفها الحوانيت والدكاكين، والذى يبدو واضحا على جانبى الشارع المعمد فى البتراء، وقد حلت هذه الدكاكين محل السوق العامة اليونانية (Agora).

٤- تبليط الشوارع والاهتمام بتصريف المياه كتبليط السيق والشارع المعمد.

٥- وجود مركز المدينة متمثلا فى الشارع المعمد، وقصر البنت، ومعبد الأسود المجنحة، وسبيل الحوريات.

اعتبر السيق بوابة المدينة، وكان يوجد فيه بوابة ضخمة على شكل قوس وهي مهدمة الآن، تؤدى إلى داخل المدينة مروراً بالسيق وحسب طبوغرافية الأرض، حيث وصف السيق (مجرى وادى موسى القديم)، بالبلاطات الحجرية، وعلى جانبيه تتوزع مبانى المدينة كالمدرج وشارع الواجهات «منطقة سكنية» ومن ثم إلى مركز المدينة والتى تنحصر بين الأسوار الشمالية والجنوبية، وتحصر فيما بينها الشارع المرصوف وبوابة (Temenos) التى تؤدى إلى قصر البنت، ومعبد الأسود المجنحة، وسبيل الحوريات، والمعبد الكبير، وأحيط بالشارع الأسواق. إن هذا التوزيع منتظم العناصر ونظم بطريقة طبيعية بعيدة عن الوجود الهندسى.

تخطيط مركز المدينة:

اتخذ كل من معبد الأسود المجنحة وقصر البنت والحمامات نفس الاتجاه والمحور وكذلك المباني على جانبي بوابة الـ (Temenos).

بني الشارع المعمد ما بين ٩ قبل الميلاد و ٧٦ بعد الميلاد ولكنه لم يتخذ نفس المحور لهذه المباني بل، اتخذ مجرى طبوغرافية الأرض، متمثلة في مجرى وادي موسى بالقرب من الشارع.

بنيت بوابة الـ (Temenos) بعد رصف الشارع، وقد بنيت على تقاطع خطين مختلفين وهما الشارع المعمد و (Temenos bench)، وبنيت كل من الأسواق، والمعبد العظيم في جنوب الشارع المعمد بنفس المحور، وتظهر بقايا رصف الشارع أمام المدرج وعلى طول السيق. وعندما تم حفر المدرج وذلك في أنسب المواقع طبوغرافية، تم التعدي على بعض المقابر القديمة، وتكرر نفس الوضع في وادي الخبثة حيث اقيمت المساكن الأحداث فوق المقابر الأقدم عندما اتسعت المدينة.

تعتبر المحكمة (Urn Tomb) أقدم من المقبرة الكورنثية، وهما تتخذان نفس محور الشارع المعمد، والمقبرة القصر (Palace Tomb)، التي تأتي في نهاية صف هذه المقابر الملكية، ويظهر لنا في هذه المقبرة كيف أن الجزء الأكبر من الواجهة محفور، وقد أكمل الجزء الأخر بالبناء لتحقيق عامل التناظر والتماثل، والتي اعتمدت عليه العمارة النبطية. لم تكن المقابر الملكية خارج مركز المدينة «خارج الأسوار» وإنما كانت داخلها أو على حافتها.

أسوار المدينة:

تحيط الجبال بالبتراء من ناحيتى الغرب والشرق، فجبال الحبيس تحيطها من الغرب بينما تحيط بها جبال الخبثة من الشرق، وأحاطت بها الأسوار من الشمال والجنوب، وتتكون الأسوار الشمالية من سورين السور الأول يمتد من قبر القصر (Palace Tomb) باتجاه الشمال ويعود تاريخه إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين. والسور الداخلى يمتد من الـ (Palace Tomb) فى تجاه شمالى – غربى عبر وادى المطاحة ويصل إلى أعلى نقطة له فى قبر جميعان، حيث ينحدر باتجاه مركز المدينة مطلاً على وادى أبو علبقة.

بنى الأنباط السور الخارجى وهو الأقدم ويتجه من قبر سكتيوس فلورنتينوس (Sextius Florentinus) باتجاه مغر النصارى، ويظهر اتجاه الجدار للشرق، وتم العثور على أساسات حجرية ربما ترجع إلى أبراج مراقبة كانت مبنية على طول السور الشمالى. بينما السور الجنوبى يمتد من جبال الحبيس غرباً عبر الخطوط حتى تصل غرب المدرج[٢٥] .

البيوت السكنية فى البتراء:

هناك نوعان من البيوت :

أ- بيوت قائمة مستقلة (Free-Standing Houses) :

أى أنها لم تكن محفورة فى الصخر، وعثر فى منطقة الشارع المعمد (Solonnade Street) على أول بناء نبطى (Free Standing) يرجع للقرن

الثالث قبل الميلاد، وجدرانه من حجارة الجلمود، والأرضيات من الطين، ثم أصبحت مرصوفة عندما تم رصف الشارع. وتم العثور على بيت يعود للقرن الأول قبل الميلاد، ولكن لم يتم العثور على آثار كاملة، والجدران تعود إلى حجرات مستطيلة، مع أرضيات طينية، وعثر في أحدى الزوايا على فرن يعود إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، واستمر الطابع المعماري البسيط خلال القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، وخلال القرن الأول تحسنت المباني نوعاً ما. فأصبحت الجدران من حجارة كبيرة، ورصفت الأرضيات بالحجارة بدلا من الطين.

عثر على مبنى يعود للقرن الأول بعد الميلاد، وسماكه الجدران ٥٠ سنتمتراً، وبنى الجدار الرئيسي في المنزل من حجارة منتظمة يبلغ ارتفاعه ٣ متر، بينما الحجارة التي بنيت منها الجدران الداخلية للمنزل، والواجهات الداخلية أقل إتقانا ودقة من الخارجية، ويبدو وجود آثار للقصارة والألوان والزخرفة الكلاسيكية ويعود تاريخ هذا المبنى إلى عام ٢٥ بعد الميلاد، حيث دلت قطع النقود التي وجدت على أرضيته على تأريخه.

في الجانب الغربي من الخبثة اكتشفت دائرة الآثار العامة بيتاً يعود للقرن الأول بعد الميلاد، والذي بني فوق مقبرة تعود إلى تلك الفترة، وعثر على غرفة أبعادها ٣ × ٢,٧٠ متراً، والجدران التي عثر عليها ارتفاعها ٠,٧٠ سنتمترا وتتكون من حجارة خشنة مربعة ثبتت بالمونة من الداخل، وغطيت بالقصارة الملونة. لم تكن سماكة الجدران متجانسة، الجدار الشرقي ٦٠ سنتمترا والشمالي ٤٠ سنتمترا، ووجد (Shaft Tomb) «قبر ذو المدخل العمودي» تحت أرضية المنزل.

ب- بيوت محفورة في الصخر :

في بعض مناطق البتراء، كانت الحجرات المحفورة في الصخر بيوتاً أكثر منها مدافن، لأن البيوت لم تكن لها وجهات مزخرفة كالمقابر، ولم تحتوى على قبور أو غرف دفن، وهذا النوع من البيوت دافئة شتاء لطيفة صيفاً، وتتواجد هذه البيوت في وادى السيغ الذى يجرى في الجانب الشمالى من الحبيس، حيث حفرت البيوت على جانبى الوادى، وعثر في أحد الحجرات على قصارة ملونة (فريسكو) على جدرانها تشبه رسومات الفريسكو، التى عرفت في مدينة بومبى في إيطاليا التى دمرها بركان فيزوف عام ٧٩ ميلادى. ومن مميزات البيوت المحفورة في الصخر أنها تحتوى على ٦ غرف تطل على ساحة مركزية والسقف عبارة عن عقد (Vault) مع بقايا أقواس ملونة، ومقصورة باللونين الأسود والأحمر.

بدايات السكن والاستقرار كانت في مركز المدينة، وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد ومع تطور المدينة وبناء الشارع المعمد، والمباني العامة في مركز المدينة، ومع اتساع المدينة اضطر الأنباط إلى البناء والتوسع على حساب المناطق القديمة، كما في حالة بناء المدرج فوق المدافن القديمة، وكذلك بناء المنازل الموجودة في الجهة الغربية من الخبثة والتى تعود في تاريخها إلى القرن الأول الميلادى، بنيت فوق مدافن تعود للقرن الأول قبل الميلاد[٢٦].

واجهات المقابر في البتراء:

اقترح (Domaszewski) في سنة ١٩٠٤ نظام تسلسل لواجهات القبور، وهو ما يزال يستعمل كأساس لمعظم الدراسات. فقد قام بتصنيف المقابر إلى سبع مجموعات، تعتمد على العناصر المعمارية والزخرفية التي زينتها، ووجد أنها تمثل تسلسلاً زمنياً يعتمد فيه على تطور العناصر المعمارية، والتي تمثلت بازدياد في العناصر «الكلاسيكية» وبالموقع الطبوغرافي للمقابر[٢٧] . وفيما بعد قام كل من دالمان (Dalman) وكنيدي (Kennedy)[٢٨]، وبراوننغ (Browning)[٢٩] بتصنيف الواجهات ووضعها في تسلسل زمني، وقد جاءت دراساتهم قريبة من الأسس التي اعتمدها نظام (Domaszewski)[٣٠].

تعتبر منطقة مدائن صالح من المواقع التي ساعدت على دراسة العمارة في البتراء، وهي موقع نبطي وجدت فيه مباني قبور كثيرة الشبه بمباني البتراء، وأول من قام بدراستها كان (Savignac, Jaussen) والجدير بالذكر أن معظم هذه المباني وجدت عليها نقوش تبين سنة العمل بها، وأحياناً اسم الحرفي الذي قام بحفرها واسم أبيه. وبينت هذه النقوش أن معظم أنواع القبور التي صنفها Domaszewski جاءت معاصرة لبعضها، وقد أثبتت ماكنزي (Mckenzie) أن التسلسل الزمني مثل بتبسيط العناصر الزخرفية، وبازدياد عرضها، وانخفاض ارتفاعها[٣١] . كما وجدت ماكنزي أن الاختلافات ضمن كل صنف هي نتيجة وجود مدرستين لنحت الواجهات، لهما خصائص معينة من حيث معالجة العناصر المعمارية

والزخرفية، بالإضافة إلى خصائص تميز بها الحرفي نفسه. وقد اعتمدت في نتائجها على نقوش المقابر في مدائن صالح[٣٢] . وقد وضعت ماكنزي واجهات مباني البتراء ذات العناصر الكلاسيكية في ست مجموعات، بعد دراستها، وأرخت هذه المجموعات معتمدة على مبنى مؤرخ داخل كل مجموعة، ووضعت المباني في تسلسل زمني داخل كل مجموعة[٣٣] .

أنماط الواجهات وأصولها الفنية :

تعكس العمارة خصائص العصر الحضارية والروحية التي انتجها. وقد عرف الأنباط عدة أسس معمارية في أبنيتهم، وتأثروا بالحضارات المختلفة، واقتبسوا منها أشكال وعناصر مختلفة، وأضافوا عليها، ووضعوها في أبنيتهم. ويمكن تصنيف الواجهات إلى الفئات التالية:-[٣٤] .

١- الواجهات ذات الخطوط المستقيمة :

يتمثل هذا النوع بوجود العناصر المعمارية فوق البوابات المنحوتة في الحجر، حيث تشكل هذه البوابات الواجهات، دون وجود عناصر أخرى كالأعمدة والكرانيش وغيرها، فنجد أحياناً خط واحد محفور فوق بوابة التبر، أو نجد خطين يعلوهما شكل المثلث (Pediment)، ومن الأمثلة على ذلك قبر يقع بالقرب من «قبر الأسود»[٣٥] . تبين الواجهة أيضا تزيين الحجر بخطوط مائلة منحرفة على زاوية تبلغ ٤٥°، ويمثل ذلك إحدى ميزات زخارف المباني النبطية[٣٦].

اقترح كنيدى (Kennedy) أن هذا النوع من واجهات القبور، ربما

يعود إلى تأثير مصرى، إذ وجد نماذج مماثلة من بوابات مغلقة تزين قبر خوفو – عنخ فى مصر[٣٧] .

٢ – الواجهات ذات التأثير الآشورى أو الآشورية :

قام براوننغ (Browning) بوضع هذا النوع من الواجهات فى مرحلتين، تحمل واجهات المرحلة الأولى إطاراً واحداً من زخرفة خطوة الغراب، فى حين أن المرحلة الثانية تمثلت بوجود إطارين من هذه الزخرفة[٣٨].

إن الواجهات التى تحمل زخرفة خطوة الغراب، تعود إلى التأثر بمبانى بلاد ما بين النهرين المبنية من الآجر، حيث وضع المعمارى النبطى هذا التأثير على الصخر المحفور[٣٩] . ونجد أنه فى البتراء أصبح يتألف كل إطار زخرفى، من وحدات حجلونية معكوسة (أو من انصاف وحده كامله)، وينتهى الإطار على جانبيه بنصف وحده[٤٠] . وقد اختلفت عدد الوحدات باختلاف عرض الواجهة، واحتوت كل منها على اربع خطوات، بينما كانت النماذج الآشورية تتألف من ثلاث خطوات[٤١] . ومن الأمثلة الآشورية التى تظهر فيها هذه الزخرفة، جزء من لوحة لمشهد صيد أشور بانيبال للأسود فى قصر نينوى، بالإضافة إلى نماذج واجهات المنازل[٤٢] .

الواجهات ذات الإطار من زخارف خطوة الغراب، تتميز بوجود خط زخرفى بارز (Tenia) أسفل الخطوات، وأحياناً تميزت بإضافة مدماك بارز قليلاً عن السطح ليعطى صلابة أكثر للتشكيلة. وقد تم إضافة ظواهر كلاسيكية، كوضع إطار للبوابة مكون من عامودين وافريز[٤٣] .

تطور من هذا التصميم أشكال الواجهات، التى تتميز بوجود إطارين من زخرفة خطوة الغراب بينهما مساحة «علية» (Attic)، ويظهر الخط البارز (Tenia)، أسفل الإطار الأول وأعلى الإطار الثانى. ويشير برونتغ إلى أن هذه التشكيلة تمثل تطور زمنى عن النوع الأول[٤٣] .

٣- الواجهات ذات الحلية الربع الدائرية (الكرنيشة الدائرية (Cavetto Cornice):

تميزت هذه الواجهات بإضافة كرنيشة دائرية، مع إبقاء زخرفة خطوة الغراب، إلا أنها استبدلت هنا بوحدة معكوسة وتمتد على عرض الواجهة. وهذه الكرنيشة هى نتيجة التأثير المصرى، إذ كانت ظاهرة فى العمارة المصرية لمئات السنين، ووجدت أيضا فى العمارة الفارسية خلال هذه الفترة، وقد تكون وصلت إلى الأنباط عن طريق الفرس[٤٥] . إلا أن المعماريين الأنباط أبقو الأثر الأشورى - المتميز بخطوة الغراب - ولكنهم طوروه، بحيث أصبح يتناسب مع هذه الكرنيشة الدائرية[٤٦]، وبقيت الزخرفة البارزة (Tenia)، وأعيد استعمال المدماك البارز تحت الكرنيشة[٤٧] .

تم إضافة أعمدة على هذه الواجهات فى بعض الأحيان، وجاءت على جانبى المبنى، بحيث بدت وكأنها تحمل الجزء العلوى. وهنا تظهر الأعمدة ذات «التيجان النبطية» المتميزة، كما تظهر البوابات «الكلاسيكية النبطية».

٤- الواجهات ذات الكرنيشة المزدوجة :

من خصائص هذا النمط، هو إضافة كرنيشة أخرى أسفل الكرنيشة الدائرية، وبينهما مسافة، وهنا أصبحت تيجان الأعمدة توضع فوق وسادتين

(Cushions)، وأضيفت أحياناً قاعدة للواجهة أو تاجاً أعلى الزخرفة، وهذه الزخرفة فريدة من نوعها فى البتراء، إذ تحتوى على إطار من زخرفة خطوة الغراب فى أعلى الواجهة، بالإضافة إلى الكرنيشة المزدوجة، حيث إن الأولى منهما ذات طراز مصرى، كما تتضمن أيضا الأعمدة ذات التيجان النبطية الطراز والبوابة الهلنستية التأثير. فنجد هنا مزج لعدة عوامل وتأثيرات حضارية ضمن الواجهة، وأعطت طابعاً نبطيا جديداً.

أدى نمط الكرنيشة المزدوجة، إلى ظهور أربع تيجان أعمدة، نبطية الطراز، تزين المساحة بين الكرنيشتين، وكذلك أدت إلى زيادة عدد الأعمدة إلى أربعة، لتصبح الواجهة أكثر توازناً[٤٨] .

٥- واجهات أخرى ذات عناصر شرقية :

تتميز واجهة «قبر المسلات» بوجود أشكال المسلات التى كانت تزين القبور المصرية، وهى تدل على التأثير المصرى على مدافن البتراء. وهناك أيضا المقابر التى تتميز بوجود الأقواس النصف الدائرية، كزخرفة أساسية فى الواجهة كالموجودة على أحد القبور قرب المدرج، وكذلك على واجهات قبور أخرى[٤٩] .

٦- الواجهات ذات الطابع الكلاسيكى :

لقد صنف (Browning) هذه الواجهات بأنها «نبطية كلاسيكية»[٥٠]، ومن ضمنها «الخزانة»، و«قبر القصر»، و«القبر الكونثى»، و«مضافة باب السيق»، و«الدير»، و«قبر سكتيوس فلورنتينوس»، وغيرها، ذات العناصر المعمارية الكلاسيكية التى لا تخلو من الطابع المحلى.

طريقة الدفن:

لقد تعددت أنواع الدفن في مدينة البتراء، وعثر عى عدة مقابر موزعة على مدى حجم المنطقة المسكونة، حيث إن هذا التوزيع يلقى الضوء على من سكن في هذه المنطقة في تلك الفترة، ومن هم ملوكها، ومحتويات هذه القبور تعطينا أدلة كافية عن عادات دفنهم[٥١] .

ومن أهم طرق الدفن النبطية مايلي:

١- المدافن ذات التوابيت الخشبية (Wooden Coffins) :

فقد عثر في هذا النوع من المقابر ذات المداخل الرأسية (Shaft Tombs)، وفي أحد القبور منها على كسر حجارة وأتربه مختلطة مع عظام حيوانات، وكسر أثرية، وقطع من توابيت خشبية[٥٢]، وبالرغم من أن هذا القبر قد نهب، إلا أنه قد تم الكشف عن ستة أركان دفن، وكل ركن يحوى مقبرة، يرجح أنه كان يحوى تابوتاً خشبياً[٥٣] ، وقد تم تنظيف هذه الأركان وكانت تقريبا خالية، إلا أن الركنين الخامس والسادس عثر فيهما على بقايا سته جماجم، ثلاث منها مكسرة وإحداها كانت منبسطة إلا أنها محتفظة بشكلها سليماً[٥٤] ، ومع أن النهب تم في جميع الأركان، إلا أنه وبعد تنخيل الحطام الموجود عثر على عقد يحتوى على أجراس برونزية، وزجاج، وقشر الخرز، وصفيحتين معدنيتين مزخرفتين بعناقيد العنب، والأجراس متآكلة من الداخل وتحمل هذه الزينات بسلك[٥٥] ، وعثر أيضا على خرزة تركوازية شافة على خنفسة[٥٦] ، وعثر أيضا على أسرجة. إن وجود التابوت الخشبى في هذا القبر يشير إلى المادة الأصلية لهذا التابوت والطريقة التى صنع

فيها حيث تم بناؤه من خشب الأرز، وأجزاء الخشب مترابطة مع بعضها بطريقة التعشيق، وكانت نجارتها بشكل ممتاز، وعثر أيضا على قطع خشبية كبيرة ملتوية بطريقة مقصودة عن طريق الإلواء الصناعى بالبخار[٥٧] .

وعثر أيضا على قطعة من المرمر، فى قاع المدخل الرأسى، غير معروف استخدامها، فهى مصقولة ومزينة من الوجهين، ومنقوشة بخطوط ودوائر.

وعثر على مثل عادة الدفن هذه فى مقابر (Triple Dushara-D4) فى سبعة مقابر، ثلاثة منها فى صف متوازٍ، حيث أن القبر الثانى أزيح حجران من إحدى زواياه من جهة الحائط، وفى نهاية الجهة الأخرى، عثر على حجر مستطيل تحت بلاطة، وعثر أيضا على إناء يدوى، وعثر فى الزاوية اليسرى وبجانب السطح، على ثلاث جماجم أطفال[٥٨] . وهذه الجماجم كانت موجودة فوق سرير من الرماد الخشبى وبعض القطع المحروقة إلا أن العظام لم تبين وجود أى حرق[٥٩] .

ولقد تم الكشف عن قبر ذى مدخل رأسى فى البتراء يدعى (Shaft Tomn BI, 1) وذلك عام ١٩٧٣، وتبلغ مساحة هذا القبر ٢,٥ × ٠,٧ متر محفور فى الأرضية الصخرية، ويمكن الوصول إلى القبر، عن طريق الحفر التى تشكل مواطئ رؤوس أصابع القدم للتسلق إلى الغرفة الجنائزية، حيث تبلغ مساحتها ٢,٢٠ م × ٢,٧٠ متر، وعثر داخل هذه الغرفة على ثمانية قبور، وقد احتوت جميع هذه القبور على بقايا هياكل عظمية، إلا أن القبر السابع عثر فيه على هيكل عظمى كامل، حيث يتجه رأسه إلى الجهة

الشمالية وذراعيه على جانبيه، وعثر على بقايا جمجمة أخرى تخص شخصا آخر. وقد تم جمع مسامير وأجراس من جميع المقابر الثمانية، وأن دل هذا على شئ فإنه يدل على أن المتوفى كان يدفن داخل صناديق خشبية[٦٠] .

لقد وجدت عادة الدفن هذه في ممفيس (Mampsis) في صحراء النقب، حيث كان التابوت الخشبي يوضع في أرضية المقابر الرأسية، وبذلك لا يوجد أي تشويه أو عبث بالعظام. ولصحة هذا الكلام فقد عثر على بعض المسامير الحديدية وقطع من الخشب[٦١]. إن الهياكل العظمية في مثل تلك المدافن، وجدت بحالة سليمة، وتبنى أرضية هذه المدافن من حجارة مربعة ومنتظمة تثبت مع بعضها بملاط طيني ويغطى القبر بحجارة[٦٢]. ويصنع خشب هذا التابوت من خشب الأرز، ولم تستخدم المسامير في بعض الأحيان، بل استخدمت طريقة التعشيق،[٦٣] لقد كانت الألواح الطويلة التي على الجانبين مزخرفة، وكان الميت موضوعاً على ظهره ويتجه رأسه إلى الغرب وقدميه إلى الشرق، وذراعيه على جانبيه، أو قد تكون احدى يديه على صدره، وفي بعض الأحيان وجد بقايا للأكاليل أو خشب الصندل[٦٤] .

٢- طريق الحرق الجزئي لجثث الموتى :-

يعني هذا أن الحرق قد يكون كاملاً وقد يكون جزئياً، ولقد عثر في القبر الثالث بمنطقة المعيسرة Upper Junction Terrace Mueisera) (RidgeE3، على كمية من القطع والعظام الإنسانية والحيوانية المحروقة،[٦٥] فعندما أزيل الرمل على عمق متر واحد، تم الوصول إلى أرضية صلبة رملية، وفي وسطها ثمانية جماجم وعظام وثلاث أوانٍ سليمة مبعثرة. إن بعض هذه

العظام متفحمة نتيجة الحرق، وقد عثر تحت طبقة الرمل مباشرة على باقى الأوانى، وبين هذه الكتل من العظام المتفحمة، عثر على جمجمة مكسورة، لم يصب الحريق جزءها السفلى، بل أصاب الجزء العلوى منها، وجميع هذه الموجودات كانت ملقاة على طبقة رقيقة سوداء، حيث كانت طبقة العظام المحروقة بسمك نصف متر فوق الأرض ولا يوجد أية علاقة للتكلس، وتم العثور على تسعة هياكل عظمية، ورأس كلب، وقد تم حرقها فى الخارج، وقد دفن مع العظام فى المقابر المجوهرات البرونزية والأوانى، وقد يكون هذا الدفن قد ندر استخدامه بسبب استخدام السلف طريقة الحرق عن طريق التكلس (Line Cremations)، أما فى القبر الرابع فى المعيسرة (Middle Junction, Mueisra Ridge)، فقد عثر على كسر بعض الجماجم عليها آثار حرق[٦٦] ، وعثر أيضاً فى (Tomb of Triple Du-shara) على جثة محروقة تماما ما عدا جزء من العظم المتحرك فى الركبة[٦٧] .

٢-الحرق المتكامل:

إن الجهة الشرقية من مقابر الحبيس (El-Habis Tombs)، تحتوى على معالم مميزة ومنها أكشاك الحمام (The Columbarium) حيث تقع فى أقصى الجنوب، إذ تحولت فى فترة من الفترات إلى بيت[٦٨]. ولم يعرف لغاية الآن وظيفته. وهذا المعلم ذو صفوف مدرجة من الفجوات الجدارية، لوضع الجرار المحتوية على رماد جثث الموتى المحروقة، وتغطى هذه الفجوات الجدارية الواجهة الكلية للغرف الداخلية، حيث تبلغ مساحة هذه الفجوات

الجدارية المربعة ١٠ انش × ١٠ انش كانت توضع الجرار الجنائزية فيها، حيث يوجد داخل الفجوة شق للأسفل لوضع الجرار[٦٩] . إن بعض التجاويف ما زالت مغلقة بالحجارة الصغيرة، حيث لاحظ فورسفيلد ضغط الجرار التى مازال أثرها واضحاً. وتمثل (Columbarium) المرحلة الأخيرة فى حرق أموات الأنباط[٧٠]، ويبقى هذا التفسير مثاراً للجدل.

٤-الدفن مع الكلس:

وهذا النوع من الدفن وجد فى منطقة شمال الحبيس (North Tomb, El Habis) فى قبر رقم ٢، وعثر فى هذا القبر على عظام كثيرة وعلى قطعة من الجير الصلب يبدو أنه قد اختلط مع الرمل[٧١] .

المدافن ذات المغالق الحجرية:

عمل بيتر بار (parr) فى التنقيب فى مدينة البتراء عام ١٩٦٨، وكان قبر (Urn Tomb) من أصعب المقابر التى تم الوصول إليها، إذ أنها مثيرة للاهتمام وهى موجودة فى الطوابق العليا، حيث يعود الفضل فى التسلق إليها للسيد (Joe Brown)، وهو من مشاهير متسلقى الجبال، حيث عمل على التسلق مسافات شاهقة والوصول إلى العديد من الكهوف وعمل على تصويرها، وكشفت للباحثين عن عادات الدفن عند الأنباط.

والشئ المثير فى هذا القبر هو وجود ثلاثة أركان دفن تعلو واجهة القبر، وما هو ملفت للنظر هو ركن الدفن الذى يقع فى الوسط، حيث إن هذ الركن مغلق بحجر منحوت، وهذا الركن بعمق ٣,٥ متر ويبلغ طوله وعرضه

١,٥ متر. ومدخل هذا الركن بسيط، ويوجد داخله فى الزاوية اليمنى حجر بناء غير مشذب أو مصقول مكوناً قسماً مستطيلاً بأبعاد ١,٥ متر × ١ متر.(٧٢)

النصب التذكارية:

لقدعثر فى الجزء الأسفل للمنطقة التى تقابل السد، فى منطقة باب السيق إلى الشرق، على نصب تذكارية جنائزية (Nefesh)، على شكل مسلات منحوتة فى الصخر، حيث عثر عام ١٩٦٤ على مجموعتين أثناء عمل وزارة الأشغال العامة بتحويل مجرى سيل وادى موسى إلى نفق قديم فى مجرى وادى المظلم (Muzlem)،(٧٣) وبالتخلص من الطمى الذى كان موجودا فى الوادى فوجئ العمال بوجود سلسلة من النقش (nefesh) أو المسلات التى تحمل كتابات نبطية تذكر المتوفى الذى احتفل بذكراه. ومن أهم هذه المسلات هو ذلك الهرم بمقياس ٨٠ سنتمتر × ٤٠ سنتمتر الموجود على قاعدة مكعبة مع إفريزين بارزين، ونقشت عليها العبارة التالية : «هذا نفش (Petraios) ابن (Threptos) وقد كرم لأنه مات فى جرش وهو من سكان رقيم (Reqmu) التى تعنى اسم البتراء القديم، وهذا النقش صنعه له أبوه بالتيمى (Taimu). وهذا الإهداء يبين أن المسلة (النقش) عبارة عن نصب تذكارى شخصى، لا علاقة له بالقبر لأن (Petraios) دفن فى جرش، وقام أبوه بالتيمى بإحياء ذكراه فى مسقط رأسه البتراء، والتى ظهرت ولأول مرة بالتسمية السامية (Reqmu).

إن الاسم أو الجذر (rqm) يشير إلى التطريزات المتعددة الألوان،

ويمكن التقدير بأن البتراء (rqm)اسم سامى يقصد به الرمل الوردى. أما المسلات الأخرى المنحوتة فقد وجدت بينها مسلتان تحملان قبو صغير عمل أيضا كذكرى لشخص متوفى. إن النقش تمثل اسم الشخص المتوفى، وهى عبارة عن حجر منحوت بارز أو غائر وفى أغلب الأحيان يكون على شكل مسلة وتعتبر نصباً تذكارياً[٧٤] .

ويقول نقب (Negev) : لقد عمل الأنباط على فصل النقش التذكارى عن المقبرة نفسها، لذا فإنه يبدو من الواضح أن الأنباط يميزون بشكل واضح بين القبر والصرح التذكارى وهو الـ (nefesh) وهذا ما حصل فى أم الجمال وفى مادبا وفى تدمر[٧٥] . وهناك أحياناً علاقة بين شكل وتخطيط المدفن والوضع الاقتصادى والاجتماعى للشخص المتوفى، فعندما يكون المدفن ذا حجم كبير وله مرافق، فهذا يعنى أن صاحبه له مكانة فى ذلك الوقت[٧٦] .

وقد وجد فى ممفيس (Mampsis) أيضاً مقابر لها (nefesh) ونجد فوق القبر (رقم ١٠٥) مسلة غير منقوشة ذات رأس مدور،[٧٧] كما وجدت فى مقابر خربة الذريح فى وادى اللعبان مجموعة من المقابر، التى تحتوى على مثل هذا النقش (المسلة) المحفور على الشبائح الحجرية التى تغطى المقابر وكانت بعض هذه المسلات توضع إلى الجهة السفلى (أى باتجاه الشخص المتوفى)[٧٨] .

المضافات الجنائزية:

إن المضافات جزء لا يتجزأ من المقابر النبطية، حيث عثر على العديد

من المضافات في البتراء، سواء كانت مبنية في داخل المقابر في الصخر، أو مبنية في الخارج، أي أنها قد تكون شتوية أو صيفية[٧٩] . والغرض من هذه المضافات تزويد مكان الدعوى بالوجبات، سواء كانت حفلات غذاء عادية أو للجنائز، حيث تقام مأدبة سنوية بجانب القبور لإحياء ذكرى الميت، ويجلس الضيوف على هذه المقاعد، فإذا كانت هذه المقاعد المحفورة في الصخر على محيط ثلاث جهات فإنها تسمى (Triclinium) أما إذا كانت فقط محاطة من جهتين فإنها تسمى (Biclinium)، أو ستيبديوم (Stibadium) بشكل شبه دائري، وعادة تكون هذه المضافات في الهواء الطلق، أو تكون في المناطق المرتفعة. وتحوى هذه المضافات تجاويف منحوتة في الصخر توضع في داخلها المصابيح أو تماثيل الآلهة.

هناك بناء في ممفيس (Mampsis) يشابه الغرض الذي بنيت من أجله المضافات، ووجد في خربة الذريح مضافة نبطية كبيرة مبنية من الحجارة ولا يبدو أن لها صفة جنائزية وإنما كانت ملحقة بأحد المباني الإدارية القريبة من المعبد وقد كانت المضافات منتشرة في البتراء، والعديد منها كانت بشكل مضافات عامة، وبعضها مضافات خاصة بالبيوت أو لها علاقة بالديانة[٨٠] .

الموائد الجنائزية:

عثر في البتراء على أربعة ابنية متكاملة من المناضد، وتعتبر تقليداً جنائزياً مبنياً من الحجارة المربعة وممثلة بالحجارة المكسرة والحصى، وجميعها مستطيلة الشكل بمقاييس مختلفة إلا أنه في بداية الأمر لم يعرف

الغرض من هذه الموائد، لأنها لم تعط أى دليل على بنائها، لذلك سميت بالمناضد، إلا أنه بالإمكان الاستنتاج أن هذا البناء له صلة بالموائد الجنائزية كالتى فى البتراء[٨١] . وكانت هذه الموائد تحيط بالمقبرة الرئيسية وبعضها قريباً من المقابر، وكانت تستخدم لإطعام الطعام بينما يجلس المعزون على الأرضية الترابية. وعثر بالقرب من الموائد الجنائزية على مصابيح فخارية وجرار، وأوانٍ، وكؤوس للشرب، ومزهريات، وأطباق خزفية.

ويقول (Strabo) إنه عثر على ١٤٣ كأساً ذهبياً لمائدة جنائزية، وربما تقام هذه الوليمة على شرف إله. فهناك نقش وجد بالقرب من الدير يبين أن المشاركين فى هذه الوليمة كانوا على شرف الإله Obadas [٨٢] .

المرفقات الجنائزية:

لم يعثر على الكثير من المرفقات الجنائزية فى مقابر البتراء، حيث تم العثور على بعض المجوهرات فى بعض القبور، وعثر هورسفيلد (Horsfield) على جرسين برونزيين، وأجزاء من إسواره وأحدها تخصر طفلا وهى على شكل سلك نحاسى وإسواره برونزية، وزجاجة كروية برونزية للزينة، بينما كانت الخواتم البرونزية نادرة[٨٣] .

كذلك كان الحال فى ممفيس (Mampsis) فمثلاً عثر فى قبر (رقم ١١٧) على جرة من المرمر، وفى قبر (رقم ١٠٠) عثر على عملة موضوعة بين أسنان الميت، وقد تكون ضريبة تدفع لشارون (Sharon) صاحب العربة التى تنقل الإنسان من القبر إلى العالم الأرضى. وهناك بعض الصناديق الخشبية بمثبتات برونزية موضوعة عند قدمى المتوفى، تحتوى على وثائق

مكتوبة على ورق البردى، وقد تم حرق الصندوق وقت الجنازة، ولم يبق سوى الختم الطينية من الوثائق[٨٤] . وكذلك كان الحال فى البتراء حيث عثر أيضا على بعض العملات فى بعض القبور، فمثلاً عثر على (Dinarii) عليه رسم (Trajan) وكانت هذه القطعة موجودة بين أسنان الميت[٨٥] .

بعض الواجهات والمعالم الرئيسية فى البتراء:

الخزنة:

تتالف واجهة الخزنة من قسمين : قسم علوى وقسم سفلى، (صورة رقم ١) مع المثلث المكسور والمبنى الدائرى. يتكون الجزء السفلى من ستة أعمدة، حيث إن العامودين فى الوسط منفصلين عن الجدار، تيجان الأعمدة من النوع الأول «النباتى»، وهناك بعض الاختلاف بين الاشكال النباتية على التيجان. تعلو الأعمدة إفريزة مزخرفة بأزواج من الوحوش المجنحة بينها مزهريات، وذيولها عبارة عن جذوع ملتفة ومتشابكة، وعلى جانبى الإفريز وجه يبرز من أوراق نباتية. يعلو الشكل المثلث (Pediment) قرص شمسى بين قرون وسنابل قمح، وهى ترمز إلى الإلهة إيزيس (Isis) المصرية. كما نجد فى وسط الإفريز وجه يخرج من أوراق الأكانش، وقد تم تشويهه، وأعلى جانبى المثلث يقف حيوان مجنح، وتبين هذه الأشكال تأثير الحضارة المصرية من حيث المضمون. كما نجد عند المساحات الجانبية بين الأعمدة قاعدة تعلوها منحوتة، وهى عبارة عن شكل آدمى يقف أمام فرس[٨٦] . وكان نحت أشكال الخيول والجمال فى الفنون النبطية الجنائزية واضح، وهو من أجل مساعدتها لنقل الميت فى رحلته إلى ما بعد الحياة[٨٧].

أما الجزء العلوى من الخزنة فهو مكون من ستة أعمدة أمامية وأربعة خلفية، وهى ملتصقة بالجدران وتيجانها من النوع الثانى «النباتى»، فى منتصف الواجهة نجد المبنى الدائرى ذا السقف المائل على شكل خيمة، يعلوها تاج عامود وجرة. أما الإفريزة العليا، فهى مزخرفة بأوراق نباتية مختلفة، وأشكال الرمان، والعنب، والصنوبر، بينها وجوه آدمية، وتعلو الإفريزة على الجوانب شكل المثلث المكسور(BrokenPediment). بالإضافة إلى جميع هذه الزخارف نجد بين الأعمدة الأمامية والخلفية، منحوتين لتماثيل على قواعد، وقد تم تشويهها فى فترة لاحقة. وفى منتصف المبنى الدائرى (Tholos) يقف تمثال الإلهة (Isis) مع سنابل القمح التى ترمز لها، وهى آلهة الموت المصرية، وعلى جانبيها بين الأعمدة نجد فى تماثيل النصر، كما نجد أعلى المثلثات منحوتات لأشكال طائر النسر[٨٨] .

نجد التناظر فى الواجهة إلى حد كبير، من حيث الزخارف المعمارية والهندسية، مع أن المنحوتات على الجوانب ليست مطابقة لبعضها البعض، إلا إنها متناسقة مع بعضها أو مع الواجهة، بحيث جاءت مناسبة للتشكيلة. وقد وصف دالمان (Dalman) واجهة الخزنة بأنها مكونة من واجهتى معبد الأمامية والخلفية وضعت فوق بعضها. فإن الطابق السفلى يبين مدخل معبد، والعلوى يدل على حرم مقدس (Sanctuary). وقد أضاف أن هذه التشكيلة تم تقليدها فى مبنى الدير والقبر الكورنثى فقط، وهى ضد التقليد ولكنها مناسبة للمكان[٨٩] .

ظهرت عدة نظريات بالنسبة لأصل الخزنة، وقد حاول عدد كبير من

الباحثين إيجاد مبانٍ شبيهة لها، قد تكون مصدر الإلهام لتصميم الخزنة. فقد وجد العديد أن أصلها يعود لمبانى الإسكندرية كمعبد كليوباترا والمكتبة[٩٠] ، بينما أشار بابنستشر (Papenstecher) إلى وجود المبنى الدائرى (Tholos) فى العديد من البيوت الخاصة والقصور، حيث كانت تحيط بها الأروقة المعمدة[٩١]. وقد وجد ستاركى(Starcky) إن واجهة الخزنة تعكس الفن المعمارى فى مدينة الإسكندرية المصرية خلال العصر الهلنستى. وعلى أى حال، فإننا نجد أن هذه الواجهة تمزج التأثيرات الشرقية، والممثلة فى الإلهة والحيوانات الخرافية المصرية، والنسر السورى، وشكل الجره الشرقية، مع الأساليب الهلنستية، بالإضافة إلى الطابع النبطى فى أشكال وزخارف التيجان، والإفريز، وبعض خصائص التماثيل بين العناصر المعمارية الكلاسيكية.

الدير:

يقع الدير فى أعلى الوادى الرئيسى بالقرب من جبل الدير، ويمكن الوصول إليه بواسطة درج منحوت فى الصخر، وهو عباره عن مضافة (تركلينوم) يستعمل فى مناسبات معينة دينية. أما الواجهة فهى شبيهة بواجهة الخزنة ولكنها تختلف عن بقية الزخارف وتبسيطها[٩٢] .(صورة رقم٢).

تتكون الواجهة من قسمين كما فى الخزنة، ويتكون الجزء السفلى من ثمانية أعمدة، حيث نجد الجانبية منها مكونة من أعمدة ربعية، والوسطى منها أعمدة نصفية. وهذه الأعمدة بدون قواعد، ولها تيجان نبطية

أيونية (Pseudolonic)، وفى وسط الواجهة السفلى بوابة تحيط بها أعمدة وشكل المثلث (Pediment)[٩٣] .

يتكون الجزء العلوى من الواجهة، من ثمانية أعمدة أمامية وثمانية خلفية، الأعمدة الوسطى هى عبارة عن أعمدة نصفية ملتصقة بالمبنى الدائرى، أما الأعمدة فهى «ثلاثة أرباع» (Three quarter columns) وتحمل مثلث مكسور (Broken Pediment)، ولها قواعد دائرية وتيجان نبطية من النوع الأول. كما نجد أن تيجان أعمدة المبنى الدائرى تتبع شكل الدائرة وليست أمامية.

تعلو الأعمدة إفريزة مكونة من أقراص إسطوانية الشكل تمثل الـ (Metope)، وهى ليست عميقة، أما المبنى الدائرى فهو شبيه بالذى وجد على واجهة الخزنة، وله سقف مائل يشبه الخيمة، على قمتها تاج من النوع الثانى النبطى، يحمل قاعدة عليها جرة. وقد غطت الواجهة علامات دقيقة محفورة[٩٤] . وهكذا، فإننا نجد فى هذا المبنى معظم العناصر المعمارية النبطية فى زخرفة الواجهة. ويبدو أن الدير كان عبارة عن مضافة هامة ورئيسة عند الأنباط[٩٥] .

قبر المسلات والمضافة (Obelisk Tombs and the Triclinium)

يقع قبر المسلات أعلى المضافة وقد تم بناؤهما فى فترة واحدة، كما يظهر على نقش فى الجهة المقابلة يبين تاريخ البناء (٤٠-٧٠ ميلادى) وهو يشير إلى الملك مايكوس ويبين أن المبنى هو قبر بناه عبد منكو له ولأولاده.

تتكون واجهة قبر المسلات من جزء سفلى خالٍ من الزخارف، وجزء علوى يتألف من أربع مسلات نحتت فى الصخر، كما أن هناك بوابة فى الجزء السفلى، تحيط بها أعمدة على الجوانب تحمل إفريزة دورية نبطية، وهى شبيهة بأخرى تعلو كوة خالية من الخطوط العامودية الثلاث المكررة (Triglyphs)، أما واجهة المضافة، فهى مكونة من نظام أعمدة علوى ونظام سفلى. يتألف الجزء السفلى من ست دعائم، مؤلفة من أعمدة كاملة وأعمدة ربعية ذات تيجان نبطية من النوع الثانى. وتحمل الدعائم مثلثاً مكسوراً على الجوانب وقوس فى الوسط. تعلو الأعمدة السفلى اعمدة أخرى على المحاور ذاتها، ولكن بحجم أصغر يعلوها مثلث مكسور(٩٦) .

نجد فى هذه التشكيلة، استعمال أشكال من أصول مختلفة، فهناك المسلات المصرية الأصل، وهناك الأشكال الكلاسيكية أعلى البوابات والأعمدة، بالإضافة إلى العناصر ذات الخصائص النبطية فى العمد والإفريز.

إن الزخارف النبطية المنحوتة التى ميزت الواجهات النبطية فى البتراء، وخاصة واجهة الخزنة التى يعجز أصحاب الآراء القائلة بأنها صنعت زمن الرومان أو أن الرومان نحتوها، عجزوا أن يعثروا على عمل فنى واحد شبيه بالخزنة، فى جميع ما خلفت الحضارة الرومانية من مبان وعمائر. حيث من المعروف أن العديد من الكتابات النبطية التى وجدت فى البتراء، قد دلت على أن أسماء النحاتين والمعماريين كانت عربية نبطية، كما دلت هذه الكتابات أن العديد من المبانى كمعبد قصر البنت فى البتراء

وبعض الواجهات المنحوتة ومنها واجهة الخزنة قد بنيت فى زمن الملك الحارث الرابع أو زمن سلفه، وهذه أدلة دامغة على وجود هذه المعالم الحضارية قبل وصول الرومان إلى البتراء. كما أن المدرج فى البتراء لم يخل من هذه التهم وكان رأيهم أنه أنشىء بعد عام ١٠٦ ميلادى، أى بعد وصول الرومان. فكيف يعقل أن تنشأ مدينة وعاصمة عظمية كالبتراء وتزدهر فى العصر الذهبى النبطى – القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادى – دون أن يكون لها مدرج؟ ويقى هذا الرأى إلى أن أثبتت الحفريات التى قام بها فليب هموند فى منطقة المدرج، أنه أنشىء فى حوالى عام ٤ قبل الميلاد فى زمن حكم الملك الحارث الرابع. وحتى بدون هذا الإثبات المطلق، من المعروف أن المدرجات الرومانية جميعها قد بنيت من الحجارة وفوق الأقواس الحجرية، ولم ينحت الرومان مدرجاتهم.

عراق الأمير:

يقع موقع عراق الأمير فى منطقة وادى السير بالقرب من عمان، وعلى بعد ٢٠ كيلومتراً باتجاه نهر الأردن، تم اكتشاف الموقع والمبانى الهامة فيه فى القرن التاسع عشر من قبل (أربى ومانغليس Irby, Mangles)، وتم تحديد مبنى قصر العبد من قبل (بانكو Banko)، وفى عام ١٨٦٢ ميلادى قام الفرنسى (ديفوك Davoque) بدراسة القصر بصورة مفصلة، وأرخ للفترة الهلنستية، وحدد وظيفة المبنى كقصر. فى حين اعتقد (سولسى Saulcy) بأن المبنى كان يشغل وظيفة دينية وبالتحديد معبداً اعتماداً على وجود تماثيل الأسود، واستنتج بان المبنى مقدم للإلهين (مولوخ

وقاموس Qamos Moloch)، وأرخ بذلك للفترة الفارسية[٩٧]، ولكن الحفريات التى أجريت عام ١٩٧٦ ميلادية، من قبل (فيل ولارشيه Will, Larche) بينت أن البناء يعود للفترة الهلنستية، وأن وظيفة البناء كانت قصراً وليس معبداً كما ذكر يوسيفيوس[٩٨]. البقايا المعمارية فى الموقع تمثلت بـ :-

أ-قصرالعبد:

يذكر يوسيفيوس بأن القصر تم بناؤه على يد (هيركانوس Hyrcanus)، واستخدمت الحجارة البيضاء فى ذلك، وزخرف بتماثيل الأسود، ولكن (ديسو Dussaud) اعتقد بأن المبنى معبد عمونى، ولكن المبنى لا يشير إلى كونه كذلك. أما الاسم الحالى فيرجع إلى أسطورة متداولة بين السكان المحليين مفادها بأنه كان لأمير المنطقة بنت، تركها فى عهدة أحد العبيد، والذى أحبها وطلبت الفتاة منه بناء قصر لها، وسمى بذلك قصر العبد[٩٩] .

تبلغ مساحة القصر (٣٧ × ١٨,٥ متراً) (مخطط رقم ٢)، تم بناؤه من الحجارة الكلسية البيضاء، المستخرجة من المناطق المجاورة، والقصر بنى وسط منخفض كانت تحيط به بحيرة اصطناعية. وأرخ القصر إلى الفترة الهلنستية اعتماداً على النظام الكورنثى المستخدم فى زخرفته، وكذلك البروز المستطيل فى الإفريز المشيد على الطراز الدورى، والعتبة الكورنثية والكورنيش. ودلت التحاليل المعمارية، على أن البناء شيد فى وقت واحد، وأنه لم يتم الانتهاء من تنفيذه، فتبع البناء صاحبه حيث كلاهما تبعا نهاية قاسية

عام ١٧٥ قبل الميلاد[١٠٠] .

يتكون البناء في مخططه من وحدة مركزية محاطة بممر على شكل حذوة الفرس، يؤدى إلى الحجرات في الجهتين الشرقية والغربية، وإلى ثلاث حجرات أخرى في الجهة الجنوبية، بالإضافة إلى حجرات للخزين في الزاوية الجنوبية والشرقية والجنوبية الغربية[١٠١]. يضم المبنى طابقين نواتي ارتفاعات متساوية، الطابق الأرضي يضم ممراً ذا أعمدة في الشمال، يقوم على جانبيه بئر، ودرج من الشرق يؤدى للطابق العلوى، وحجرة صغيرة في الغرب. ويؤدى هذا الممر إلى ممر آخر داخلي يقوم على جانبيه حوضان يفرغان ماءهما خارجاً بواسطة أفواه فهدين ضخمين في قاعدة الجدران، وفي الجهة الشرقية والغربية من القصر، توجد سبع حجرات كبيرة (مخازن للحبوب) مقسمة بواسطة الأعمدة للسماح بدخول الضوء[١٠٢].

أما الطابق الثاني أو العلوى، فكان يتم الصعود إليه عبر سلم، ومخططه متصل مع جدران الطابق السفلي، ويحتوى على العديد من الحجرات المزخرفة. ولعدم استكمال البناء – يتضح ذلك من الزخارف غير المكتملة – ما يدعو للاعتقاد بأن المبنى لم يسكن، كذلك وذلك لعدم وجود النوافذ، وحلقات الأبواب . ويحتوى البناء في الجهة الجنوبية على ممر وهمي ذي أعمدة يقوم على جانبيه حجرتان صغيرتان، ويبلغ ارتفاع المبنى ١٤ متراً، ويشبه في تصميمه المباني الشرقية[١٠٣] .

ب- البوابة التذكارية :-

تقع على بعد ١٥٠ متراً إلي الشمال الشرقي من القصر، وبقى منها

أربعة مداميك، وأمكن ترميم البوابة لارتفاع ٩ أمتار. فعلى مستوى الأرض فإن البناء يتكون من ركيزتين محاطتين ببوابة بعرض ٣,٧ متراً تفتح البوابة على سياج تشكل جدرانه من الخارج منحنى بزاوية يمنى. وليس هنالك علاقة بين اتجاه البوابة واتجاه القصر، وتتصل البوابة مع محور الطريق الممتد بشكل مستقيم لمسافة تقارب ١٠٠ متر، ومحاذية للجدار المحيط بالبركة الاصطناعية حول القصر[١٠٤] .

أمكن التعرف على تقنيتين في بناء البوابة، حيث استخدمت الحجارة الضخمة في بناء الواجهة، فهي متميزة من حيث حجمها وكذلك في معالجتها عند الحواف، مما يمنحها طابع القوة وكذلك للحفاظ على المبنى. كما استخدمت تقنية (التثبيت بالتلسين Mortises and Tenons) في البناء، وخصوصا في الحجارة الضخمة لتماسكها مع بعضها البعض. وهذا الأسلوب المعماري معروف في العمارة اليونانية ويظهر بشكل خاص في المواقع المتأثرة في الأسلوب المعماري الشرقي[١٠٥] . التقنية الثانية المستخدمة، تتكون من مداميك قليلة الارتفاع (٥٨ سنتمترا)، فالارتفاع المحدد للحجارة اللوحية يجعلها أكثر ثباتاً دون الحاجة إلى استخدام المعدن المصهور لتثبيتها مع بعضها البعض[١٠٦] .

أما طريقة البناء واختيار المواد اللازمة في بناء البوابة، فتدلان على مكانة وقوة مالكها، فقد زخرفت البرابة بالمنحوتات الحيوانية، مثل الحيوانات البرية، (النسور) التي تحتل مكانة بارزة في زخرفة القصر أيضا. أما زخرفة الحيوانين (السنوري Feline) فقد تم وضعهما بشكل متناسق

متجهين باتجاه البوابة، مما يشير إلى كونهما حاميين للممر، أما الأسد والنسر فيشيران إلى القوة الملكية أو المقدسة للتغلب على الأعداء[١٠٧] .

واستخدام الجص الملون الأبيض في زخرفة جدران القصر، والمباني السكنية في عراق الأمير، مما أعطى أهمية في التعرف على أهمية البناء الذي وجدت عليه، وكذلك فهم أسلوب الحياة في الموقع؛ فالجص الأبيض استخدم في زخرفة الجدار الداخلي، المكون من طبقة سميكة بنية اللون، ممزوجة بحصى صغيرة الحجم ثم تغطى بطبقة رقيقة من ومل الكوارتز[١٠٨].

ولم تقتصر المرافق على المباني العامة، بل تعدى ذلك إلى وجود المرافق الزراعية، كالمصاطب والجدارن الاستنادية، وقنوات الري، فقد لعب جدول المياه الدائم في وادي السير، إلي جذب الاستيطان في الموقع، فعلى ما يبدو أن الموقع جذب هيركانوس للاستيطان فيه لمكانته الاقتصادية[١٠٩] .

تل السعيدية :

تحتوى الطبقة الثانية في التل على بناء مستطيل الشكل (مخطط رقم ٣)، بنيت أجزاء منه فوق البناء العائد للفترة الفارسية. وتبلغ أبعاد المبنى ١٣,٣ × ٢١,٢ متراً، ويتراوح سمك جدرانه الخارجية (٩٠ سنتمتراً)، في حين يبلغ سمك الجدران الداخلية (٦٠ سنتمتراً). وبنيت الجدران فوق أساسات من الحجارة، واستخدم الطوب في بناء الجزء العلوى منه. والملفت للنظر في تقنية البناء استخدام القصب في البناء، فبعد الانتهاء من وضع أساسات البناء الحجرية، قام المعمارى بوضع طبقة من القصب بشكل

تقاطعي على طول الجدار، ثم غطيت بطبقة من البلاستر (الجص)، ثم يستكمل البناء باستخدام الطوب فوق طبقة القصب[١١٠] .

الطوب المستخدم في البناء كان بحجمين، الأول كبير بقياس (٤٠ × ٤٠ × ١٥ سنتمتراً) والثاني صغير بقياس (٢٠ × ٤٠ × ١٥ سنتمتراً). أما الجدران الداخلية (٦٠ سنتمتراً) فقد بنيت بصف من الطوب الكبير، اصطف بجانبي صف آخر من الطوب الصغير الحجم، أما الجدران الخارجية فيبلغ سمكها (٩٠ سنتمتراً)، وقد بنيت بمدامك اختلفت بين صفين من الطوب الكبير، ومدماك من طوبتين صغيرتين، وطوبة كبيرة في المركز. وقد استخدم الجص في تغطية الجدران الداخلية للمبنى[١١١] .

البناء في مخططه يتكون من ساحة -٢٠١-، يتم الدخول إليها عبر مدخل عريض (١,٦ متر) في الجهة الشمالية. ويحتوي أيضاً على مدخلين، الأول يفضي إلى الرواق -٢٠٢-، والثاني للغرفة -٢٠٣-. ويستدل من العوارض الخشبية المتفحمة التي وجدت في أماكن مختلفة على الأرضية، وعند مدخل الغرفة في الجزء الشمالي، أن المبنى كان مسقوفاً[١١٢] . ويتم الدخول عبر الساحة -٢٠١- إلى رواق يؤدي إلى خمس غرف في الجهة الغربية، باستثناء الغرفة - ٢٠٦- التي يتم الدخول إليها عبر الغرفة - ٢٠٧-. أما الغرفة -٢٠٣- فتحتوي على مدخلين، الأول من الجهة الشرقية عبر الغرفة -٢٠١-، والآخر عبر الرواق -٢٠٢-، وتعتبر هذه الغرفة من أفضل الأمثلة التي تحتوي على أرضية مرصوفة بالحجارة. أما الغرفة - ٢٠٤- وهي أصغر الغرف الموجودة، فيتم الدخول إليها عبر الرواق -٢٠٢- الذي يؤدي أيضاً إلى الغرفة -٢٠٥-[١١٣].

يمتاز الجدار الشمالي للغرف -٢٠٦- إلى -٢٠٨- كونه سميكاً (٩٠ سنتمتراً)، بعكس الجدران الداخلية الأخرى، ولذلك ربما يشير إلى وجود طابق ثان للمبنى[١١٤] . وبشكل عام يتكون البناء من ساحة تقابلها من جهة واحدة ست غرف.

طبقة فحل (Pella):

تم الكشف خلال موسم التنقيب عام ١٩٨١، عن بناء مستطيل أبعاده ٩ × ٥,٥ متراً، أرخ إلى الفترة الهلنستية (القرن الثاني قبل الميلاد)، وبنيت جدران المبنى من الطوب المجفف فوق أساسات من الحصى، ترتفع حوالى رضية ٤٢ المتر عن مستوى ال[١١٥] .

قسم المبنى من الداخل بجدارين، الأول يتصل مع الجدار الشرقي وهو ضمن مخطط البناء الأصلي، لكونه يحتوى على طبقة من الجص في الجزء الشمالي، وكذلك مبني بشكل قوى وثابت، فلهذا قسم البناء إلى جزءين غرفة داخلية وأخرى خارجية، أما الجدار الداخلي الثاني فتم اضافته في فترة لاحقة، وتقسم الغرفة الخارجية إلى قسمين، وعلى ما يبدو أن وظيفة الغرفة الخارجية مخالفة للداخلية، لكون الأخيرة مبلطة ببلاطات حجرية، مما يشير إلى نفس وظيفة الساحة المجصصة في الجهة الغربية[١١٦] .

لقد ساعدت قطعتا العملة في تأريخ المبنى، فقد أرخت القطعة الأولى إلى النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد، والثاني تعود إلى الفترة الحشمونية[١١٧] .

وعلى بعد ٢,٢٠٠ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من طبقة فحل، عثر في جبل سرطبة على تحصينات مؤرخة للفترة الهلنستية، فموقع التل مميز بكونه يشرف على الطرقات سواء القديمة أم الحديثة، ويمتاز ايضا بصعوبة الوصول إليه، مما حفظ حجارية المبنية من العبث[١١٨] . المبنى في مخططه مربع الشكل يبلغ طول كل جانب حوالي ٦٠ متراً، ويتكون السور من ثمانية أبراج تتوزع كالتالي : برج في كل زاوية وفي منتصف الجدار، وتظهر الابراج عدم تماثل فيما بينها، فقد تراوحت الغرف الداخلية المكونة للأبراج من غرفة إلى ثلاث غرف داخلية. ويتم الدخول عبر السور خلال أربع بوابات، واحدة في كل جانب، وتقع البوابات بالقرب من البرج[١١٩] . وفي داخل الحصن يوجد بئران تم حفرهما في الصخر الطبيعي، ويشير حجمهما إلى عدم كفاية استخدامهما لفترة طويلة، وبالمقابل فإن سماكة الترسبات الموجودة في قاع البئر، تشير إلى استخدامه لفترة قصيرة، لعدم استخدامها بشكل حقيقي[١٢٠] .

إن سبب بناء الحصن غير محدد بالضبط، لأنه من غير المعقول بناؤه من قبل سكان طبقة فحل، لكونه لا يشكل عاملاً مهماً في حماية مدينتهم، ولكن ربما تم بناؤه من قبل أحد القادة السلوقيين وربما (أنطيوخس الثالث Antiochus III)، حيث تذكر المصادر اهتمامه بإقليم طبقة فحل[١٢١]، وأكثر الاحتمالات تشير إلى انشائه في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، حيث يذكر (يوسيفيوس Josephus) أن انطيوخس الثالث كان له نشاط عسكري في الأردن في ذلك الوقت (نهاية القرن الثالث قبل الميلاد). وفي المقابل، فإن

الأسبار التجريبية داخل الحصن أظهرت عدم استيطانه، فأرخ المبنى اعتماداً على الكسر الفخارية إلى الفترة الهلنستية، وعلى بعد ٦٠ متراً إلى الجنوب الشرقي من الحصن عثر على برج منعزل يعاصر فترة بناء الحصن(١٢٢) .

البصيلة:

المبنى الإداري:

بدأ العمل في المنطقة – ب– من موقع البصيلة الأثرى في الموسم الثاني عام ١٩٨٩، واستمر العمل في موسم عام ١٩٩٠، وفي الموسم الرابع عام ١٩٩١، كشف عن المبنى الإداري في هذه المنطقة بالكامل. بني هذا المبنى بشكل مستطيل طوله ١٩ متراً وعرضه ٩,٥ أمتار (مخطط رقم ٤) وبلغ ارتفاع بعض الجدران الداخلية حوالي مترين. يحتوى هذا البناء على خمس حجرات، ثلاث كبيرة تقع في الجهة الغربية، وتتصل ببعضها بعضاً عن طريق بوابات، وحجرتان تقعان في الجهة الشرقية.

وصف الحجرات:

الحجرة الأولى : أطوال هذه الحجرة ٥,٧ × ٥,٧ أمتار، فهي أكبر الحجرات مساحة، وتفضي بوابة البناء الرئيسة إليها مباشرة، وتقع البوابة في جدارها الجنوبي، أما الجدار الغربي فقد بني معظمه على شكل نصف دائرى منحن بارز إلى الخارج. وتوجد في الجدار الشمالي بوابة تتصل بـ الحجرة المجاورة الشمالية، ويبدو أن هذه الحجرة كانت صالة الاستقبال الرئيسة لهذا المبنى.

الحجرة الثانية : تقع إلى الجهة الشمالية من الحجرة الأولى، وتتصل معها عن طريق بوابة داخلية فى جدارها الجنوبى. وهذه الحجرة ثانية من حيث المساحة بعد الحجرة الأولى، إذ تبلغ مساحتها ٤,٧ × ٣,٨ أمتار، وتتميز بوجود مدخل أو بوابة على شكل قوس خماسى يقع فى الجدار الغربى ويفضى إلى خارج البناء، كما توجد بوابة فى الجدار الشمالى لهذه الحجرة تتصل مع الحجرة الثالثة المجاورة.

الحجرة الثالثة : بنيت على شكل شبه منحرف أطوالها ٣,٨٥ × ٣,٤ أمتار. وقد تعرضت معظم جدران هذه الحجرة للتهديم، ونقلت حجارتها إلى أماكن أخرى فى الموقع وخارجه، وأعيد استعمالها.

الحجرة الرابعة : حجرة مستطيلة أطوالها ٣,٨٥ × ٢,٤ أمتار. ما يميز هذه الحجرة خلوها من البوابات، ولعلها استخدمت عن طريق فتحة فى سقفها تصلها بالطابق الأول العلوى من المبنى. ويمكن أن يكون هناك درج (سلم)، ربما كان مصنوعاً من الخشب، يؤدى إلى هذه الحجرة التى كانت تستعمل للخزن أو لحفظ المياه.

الحجرة الخامسة : بنيت بشكل شبه منحرف أطوالها ٤,٧٥ × ١,٧ أمتار. تخلو هذه الحجرة كذلك من البوابات، فقد تكون استعملت بنفس الطريقة التى كانت تستخدم فيها الحجرة الرابعة.

يتضح من خلال الدراسات الأولية أن هذا المبنى لم يستعمل للسكن، إذ لم يعثر فيه على مخلفات مادية تشير إلى استعمالات منزلية، بل كان يستعمل مقراً إدارياً أو رسمياً. وقبل تشييد هذا المبنى حفر المكان، وأزيلت

الأتربة حتى وصل إلى الطبقة الصخرية التى أزيلت منها بعض الأجزاء أيضاً، وخاصة فى الجهتين الغربية والجنوبية والغربية ليصبح المكان مستوياً. وشيدت حجارة هذا المبنى فوق أساسات على شكل بلاطات ضخمة وضعت فوق الأرضية الصخرية المستوية. وقد برزت أجزاء هذه البلاطات بطول ١٠ سنتمترات من داخل المبنى وخارجه. وحجارة هذا المبنى مقطوعة من الصخور الجيرية الموجودة بكثرة فى هذا الموقع. وكانت طريقة البناء باستعمال حجر عريض يليه حجر طويل بصورة متوالية (Header-stretcher)، وكانت الحجارة تثبت بعضها ببعض بواسطة مونة «أسمنت» مازالت محافظة على متانتها، وكانت الفتحات الموجودة بين الحجارة تعبأ بحجارة صغيرة مخلوطة مع هذه المونة أو الأسمنت. وتشير ضخامة حجارة البناء، والوصول إلى الأرضية الصخرية لقطع الأساسات الحجرية عليها، وطبيعة بناء الحجرات الخمس سالفة الذكر تشير إلى وجود طابق آخر أو أكثر فوق حجرات التسوية مما يدل على أهمية هذا البناء. ويعزز افتراض وجود طابق أو أكثر العثور على عديد من حجارة هذا المبنى التى أعيد استعمالها فى بناء جدران الكنائس الموجودة فى الموقع، حيث استدل على هذه الحجارة من الحروف اليونانية التى نحتت على معظم حجارة هذا المبنى. ونقلت أعداد كبيرة من حجارة اليصيلة إلى القرى المجاورة كحوارة، وبشرى، وسال، واستعملت فى بناء المنازل حتى فترة قريبة. وقد حصر نوعان من الأرضيات داخل هذا المبنى، أرضية أقيمت فوق الصخور مباشرة، وأرضية علوية كانت على مستوى البلاطات الضخمة التى تشكل أساس المبنى، ويتراوح سمك الأرضيات ما بين ٥ إلى ١٠ سنتمترات،

وتتكون من خلطة أسمنتية من الجير المطحون والمحروق، والرماد، وبعض كسر الحجارة الصغيرة، والرمل.

تعود طريقة بناء حجارة هذا المبنى إلى الفترة الهلنستية، كما أن العثور على كسر الفخار التي تعود إلى الفترة الهلنستية، قرب الأساسات يؤكد أنه بني في هذه الفترة. واستخدم البناء في الفترة الرومانية. وربما رممت القصارة «المونة الأسمنتية» الداخلية في الفترتين الرومانية المبكرة والمتأخرة، وعثر على الكسر الفخارية الرومانية المتأخرة والبيزنطية في الطبقات العلوية من البناء. كما أظهرت الموبعات التي حفرت في الجهة الشمالية من المبنى بناء آخر يعود إلى الفترة البيزنطية مكوناً من حجرات صغيرة استعملت للسكن[١٣٣].

تل المزار:

أرخت الطبقة الأولى في التل إلى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد، وتمثلت بهذه الطبقة العديد من الحفر الدائرية والعميقة، بالإضافة إلى مخازن العلف، وقد اتخذت هذه الحفر عدة أشكال وأحجام، واختلفت طرق بنائها والمواد المستخدمة في ذلك، فالبعض منها استخدم الطوب في تشييدها، وفي حالات قليلة استخدمت الحجارة في المداميك السفلى واحياناً الطوب، ومن ثم الحجارة في المداميك العليا. ومن حيث الشكل فتتعدد بين الأسطواني والبرميلي والمخروطي، وخصوصاً تلك التي لم تستخدم الحجارة أو الطوب في بنائها. كما استخدمت الشبائح الحجرية في رصف أرضيات بعض الحفر والبعض الآخر استخدم الطوب في ذلك، أو الطين

المضغوط[١٢٤].

من خلال المخلفات التى وجدت فى مخازن العلف، تشير إلى استخدامها لخزن كميات كبيرة من الحبوب والتبن كنوع من الوقاية خلال أوقات الجفاف، أو استخدامه لتزويد قوات عسكرية، فيبدو أن الموقع كان على اتصال مع موقع (عماتا Ammata) الذى يبعد حوالى ٢ كيلومترات إلى الشرق من تلك المزار فى الفترة الهلنستية[١٢٥].